

تراث نابليون المثير للجدل في الشرق بين نار وتنوير

اختلاف في الرؤى حول أول غزو عسكري أوروبي لبلد عربي في التاريخ الحديث



هل كان نابليون غزياً فقط

فيها الجنود الفرنسيون حوالي ثلاثة آلاف شخص في يافا. أما "بطل" كتب التاريخ في غزاة لتلك الحقبة، فهو والي عكا أحمد باشا الجزار، وهو رجل معروف بـ"قسوته"، قاوم في عكا لمدة شهرين في مواجهة هجمات نابليون.

اليوم، لا تزال قلعة عكا قائمة. ويجذب تمثال نابليون على حضان وجامع الجزائر في وسط المدينة، السياح، في الزمن العادي.

نابليون أمضى ليلتين أو ثلاث ليال في غزاة، مشيراً إلى أن "الأكد أنه احتل غزاة التي كانت في حينه مركزاً لإنتاج العسل والزيت والزراعة. كانت نقطة إستراتيجية بين آسيا وأوروبا".

وُدس المدني حملة نابليون في الجامعات الغربية. ورداً على سؤال عن خلاصة الدرس، يجيب "الاحتلال الفرنسي كان أسوأ من الاحتلال الإسرائيلي"، مشيراً إلى "مجزرة" قتل

إلا أن هذا الخطاب تغير مع مرور السنين. ويقول وشاح إن نابليون "استخدم العلم لتبرير الاحتلال. لقد كتب".

ويضيف أن الرجل "تسبب بفوضى كبيرة في المنطقة"، وأن سكان غزاة "يحتفظون بصورة قائمة عن كل الحملات العسكرية بما فيها حملة نابليون".

ويقول أستاذ التاريخ المتقاعد رشاد المدني "ليس واضحاً مئة في المئة إن كان

وتقول خوري إن البعض في مصر يقرون بالتقدم العلمي الذي جاءت به الحملة. وتستطرد "لكن في الوقت ذاته، هناك الجانب الاستعماري الذي لا يزال حساساً ولا يقبله الكثير من المصريين".

وتشير إلى أن الفيلم "لم يلق ترحيباً في مصر" ولا في فرنسا. وتقول "هناك فرنسيون تعاملوا مع الفيلم باستهجان: كيف يجزء شهاين، وهو مخرج عربي، على الحديث عن بونايرت وإسقاط هالته؟ بالنسبة لهم، كان ذلك غير مقبول".

المرور من غزاة

يبقى عبور نابليون بونايرت في غزاة فصلاً غير معروف في حملته المثيرة للجدل إلى مصر والشرق. ورغم ذلك، ترك أثراً في الضمائر وعلى بعض جدران غزاة.

في فبراير 1799، اجتاز نابليون، على رأس الآلاف من الجنود الفرنسيين صحراء سيناء ليحتل غزاة حيث "أشجار الليمون والزيتون والأرض غير المستوية تشبه تماماً المشهد في لانغدوك" في جنوب فرنسا، وفق ما كتب في وقت لاحق.

وكتب عالم الرياضيات إتيان لوي مالو الذي رافق الحملة في ذكرياته "التلال التي تحيط بغزاة مكسوة بأشجار الزيتون"، مشيراً إلى أن الفرنسيين استولوا على غزاة "من دون أي مقاومة"، قبل أن يتابعوا طريقهم إلى يافا التي شهدت معارك دموية واجتاحها الطاعون، ثم ليصلوا إلى عكا، ويعودوا أراجهم.

تغيرت غزاة كثيراً منذ ذلك الوقت. فكان أشجار الزيتون، تمتد اليوم غابة أبنية من الإسمنت الرمادي، وقطاع غزاة الذي كان في تلك الأيام باب فلسطين، بات قطاعاً محاصراً منذ 2007 من إسرائيل، تسيطر عليه حركة حماس الإسلامية، ويعيش فيه حوالي مليوني شخص.

لكن هناك أثر باق من نابليون في قصر الباشا، وهو قصر حجري صغير محاط بأشجار النخيل، وفيه غرفة يقال إن بونايرت نام فيها "ثلاث ليال".

يؤدي سلم خارجي عريض إلى الطابق الأول والوحيد من القصر، وفي أعلاه إلى اليسار غرفة من دون سرير. ويؤكد مدير قسم التاريخ في الجامعة الإسلامية في غزاة غسان وشاح أنه المكان الذي نام فيه نابليون.

وتغير اسم القصر الذي بني في القرن الثالث عشر، قبل سنوات، كان يحمل اسم نابليون، لكن حكومة حركة حماس غيرته في العام 2010 ليصبح "متحف قصر الباشا".

قبل وباء كوفيد -19، كانت مجموعات من التلامذة الفلسطينيين تزور القصر وغرفة نابليون وتستمع إلى شرح عن مرور من أصبح لاحقاً إمبراطور فرنسا، في فلسطين.

ويقول وشاح "في البداية، كنا ندرس أن الحملة العسكرية الفرنسية على مصر فيها جانب علمي. وكان هذا الجانب إيجابياً، إذ كان يؤشر إلى حملة عسكرية مختلفة عن غيرها".

تمر هذه الأيام الذكرى 200 لوفاة الإمبراطور الفرنسي نابليون بونايرت، الذي قاد أول حملة عسكرية على الشرق في العصر الحديث، والتي لا تزال آثارها ماثلة في مصر، وهي كذلك ماثرة جدل بين من يراها غزواً بحقاً وبين من يقر بالجانب الثقافي الهام الذي خلفته إضافة إلى تأثيراتها في بداية النهضة العربية.

تشكلت ضدها. ويضيف الكاتب أن حملة بونايرت "كانت أول عدوان إمبريالي في العصر الحديث ضد الشرق المسلم".

وبعيد الإنزال الفرنسي في يوليو 1789 بالقرب من الإسكندرية، وضع بونايرت لافتات على جدران المدينة كتب عليها "أيها المصريون، سيقولون لكم إنني أتيت لتدمير دينكم، هذه كذبة. لا تصدقوهم".

وأكد الجنرال بونايرت الذي لم يكن قد أصبح إمبراطوراً بعد، على اللافتات نفسها أنه "يحترم النبي محمد والقرآن الكريم". ولكنه أضاف "بئس من سيقاطلون ضدياً، هؤلاء لا خيار أمامهم، سيموتون".

وكانت الغلبة للقمع على التسامح الديني بعد ذلك. وقمع بونايرت بلا هوادة ثورة القاهرة في العام 1789، فقتل الآلاف من المصريين في المعارك أو اعدموا. وتعرض الجامع الأزهر للقصف وهجوم من القوات الفرنسية.

وفي تعليق مكتوب له قال أستاذ التاريخ في جامعة الأزهر الحسين حسن حماد إن الحملة الفرنسية "هي أول غزو عسكري أوروبي لبلد عربي إسلامي في التاريخ الحديث".

الحملة كانت غزواً لكنها تركت بعض الآثار الإيجابية كإدخال الطباعة ووضع كتاب «وصف مصر» وإنشاء المجمع العلمي

وأشار إلى أن الأزهر كان "يمثل مركز القيادة" لثورة القاهرة ضد الحملة، "وتحمل شيوخه كعادتهم مسؤولية قيادة مقاومة الأمة على جميع المستويات طوال السنوات الثلاث" لوجود قوات بونايرت في مصر.

وأشار حماد إلى "بعض الآثار الإيجابية" للحملة "كإدخال الطباعة ووضع كتاب 'وصف مصر' وإنشاء المجمع العلمي"، مشدداً على أن هذه الجوانب الإيجابية "تمت بدافع خدمة الوجود الفرنسي وتنظيم إدارة البلاد والإفادة من خيراتها وثروتها".

وتقول ماريان خوري، المنتجة التنفيذية لفيلم "وداعاً بونايرت" ليوسف شهاين (1985)، إن الحملة الفرنسية "لا تزال تغير الكثير من الجدل".

ويتناول فيلم يوسف شهاين التقدم الذي يمثله الجنرال كافاريللي (أدى الدور ميشال بيكولي) مقابل القوة العسكرية التي يمثلها بونايرت (أدى الدور باتريس شيرو).

القاهرة - طبعت الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام بقيادة نابليون بونايرت تاريخ المنطقة، ومهدت لحقبة الاستعمار الحديثة، وتركت إرثاً مثيراً للجدل على الرغم من إسهامات أكيدة لعلماء شاركوا فيها.

وقد استمرت الحملة الفرنسية على مصر ثلاث سنوات، في 19 مايو 1798، غادر 38 ألف جندي فرنسي طولون على متن أكثر من 300 سفينة في سرية تامة ولم يكونوا يعرفون وجهتهم بل علموا بها وهم في البحر. فيما أصبح لاحقاً أشهر حملة عسكرية في التاريخ الحديث.

النار والتنوير

يقول الكاتب المصري محمد سلاموي إن الحملة الفرنسية على مصر كانت مزيجاً من "النار والتنوير"، فهي من ناحية حملة عسكرية إمبريالية، ومن ناحية أخرى أتت بالعلوم والتقدم.

ومع اقتراب الذكرى المئتين لوفاة نابليون بونايرت في الخامس من مايو، يشرح سلاموي أن "الحملة كانت عسكرية بالتأكيد، وكانت هناك مقاومة مصرية ضد القوات الفرنسية، ولكنها كانت كذلك بداية عصر من التقدم الفكري والتنوير".

ووثق علماء الحملة في عمل موسوعي "وصف مصر" كل ما يتعلق بالمجتمع والتاريخ الطبيعي والإنساني للبلاد. وأدى اكتشاف جنود فرنسيين لحجر رشيد في ممفيس في مصر، الذي حفر عليه مرسوم ملكي بثلاث لغات، اللغة المصرية القديمة أو الهيروغليفية، والهيروغليفية، واليونانية القديمة، إلى فك شفرة اللغة الهيروغليفية ونشأة علم المصريات.

في فترة لاحقة، كان مؤسس الدولة الملكية الحديثة في مصر محمد علي، بمثابة "منفذ وصية" بونايرت في مصر، لأنه استخدم العلوم التي أتت بها الحملة لإقامة دولة حديثة، على حد تعبير الصحافي الفرنسي ذي الأصول المصرية روبري سوليه.

ويقول سوليه "في عصر الملكية الحديثة في مصر محمد علي، كانت التركيز منصباً على ما أتت به الحملة من إضافات علمية وسياسية"، باعتباره نتاج فلسفة التنوير التي أطلقتها الثورة الفرنسية. ولكن منذ الثورة الناصرية في العام 1952، هيمنت النزعة القومية وبات ينظر إلى الحملة الفرنسية على أنها "مرحلة ضمن مراحل أخرى من تاريخ مصر"، وفق سوليه.

ويعتقد سوليه أن الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر لم يكن يرى في هذه الحملة "إلا أنها أيقظت الشعور الوطني" من خلال المقاومة التي

مسرحية «الجريمة المثالية» في عامها الرابع والثلاثين لا يعوقها الوباء

مقربة من "تايمز سكوير"، لكنها لم تتوقف يوماً.

وقالت "أريد أن أرى أول عمل يتبع لي دخول المسرح مجدداً، حتى لو لم أكن أعرف ما موضوعه".

عرض «الجريمة المثالية» يشكّل في هذه المرحلة التي تخلو من العروض الأخرى فرصة للأمل بعودة النشاط

ورأى الممثل تشارلز جيبير أن العرض الأول كان "رائعاً"، إذ أن "الأشخاص الموجودين في الصالة كانوا نوعاً ما رواداً".

وبقي لديه الانطباع نفسه خلال العروض التالية. وقال "لدينا شعور باننا نشكّل فرقة" تضم ممثلين ومتفرجين. وأضاف "هذا الأمر يتجاوز كونه مجرد أمسية في المسرح".

وحصل "ثياتر سنتر" على الضوء الأخضر من "أكتورز إكويبي"، وهي أبرز نقابات الفنون المسرحية، بشرط تلقيح أعضاء الفريق بأكمله، وإجراء فحوص لهم كل مساء قبل العروض.

وفي العرض الأول بعد الإقفال، امتلأت كل المقاعد المسموح بإشغالها، أي 66 من أصل مجموع المقاعد البالغ 200، وفق المنتج أرماند هابت.

وقالت سوزان جاكوبيتز (75 عاماً) التي حضرت من ولاية كارولينا الشمالية لمشاهدة المسرحية مع صديقتها من نيويورك ليندا شيفر "عندما أبلغتني أن لديها تذكرة للمسرح، لم أصدق ذلك. كنت سعيدة جداً".

ويشكّل عرض "بيرفكت كرايم" في هذه المرحلة التي تخلو من العروض الأخرى، نوعاً من الدعاية المجانية لها، إذ أن هذا العمل البوليسي المطعم بجو علم النفس، يضع عادة وسط الكثر الكبير من مسرحيات برودواي.

ومثلاً، مرت جيسكا بلوم، وهي من عشاق المسرح، العشرات من المرات أمام "ثياتر سنتر" الواقع على

وفي 9 أبريل أعادت فتح "ثياتر سنتر" مع العروض الأولى لمسرحية موسيقية مستوحاة من مسلسل "دي أوفيس"، ثم قدمت في السابع عشر منه "بيرفكت كرايم" في عرضها الرقم 13524، وهو رقم قياسي عالمي.

ولاحظت راسل أن "كثراً كانوا يشعرون بأنهم غير جاهزين بعد" لمعاودة النشاط سواء في برودواي أو خارجها، حيث المسارح الصغيرة الحجم. وأضافت "لكنني رأيت أننا جاهزون. ربما أقل خوفاً من الآخرين، لكن حجم ما لدي لأخسره أقل مما لدى غيري. فمسرحي هو مجرد مسرح صغير خارج برودواي".

وتابعت "نحن نخسر المال"، وحتى رفع نسبة الجمهور المسموح بها إلى 50 في المئة من القدرة الاستيعابية قد لا يكون كافياً لتحقيق التوازن، وهي المعادلة التي تفني مسارح برودواي عن إعادة فتح أبوابها في المستقبل القريب.

وقالت راسل "لكننا مصممون، وأريد أن أفعل ذلك من منطلق مبدئي".

الاستيعابية المعتادة، ثم 33 في المئة، لكن راسل تواصل جهودها لرفع النسبة إلى 50 في المئة على الأقل.



عمل بوليسي مطعم بأجواء علم النفس

نيويورك - شهدت نيويورك معاودة عروض "بيرفكت كرايم" (الجريمة المثالية) التي تعتبر عميدة مسرحيات المدينة إذ يعود انطلاقها إلى العام 1987، وذلك قبل فتح خشبات برودواي مجدداً في سبتمبر المقبل.

وقالت مديرة مسرح "ثياتر سنتر"، حيث تعرض المسرحية، كاثرين راسل "لدي تصميم قوي جداً. وعندما يقول لي الناس إنني لا أستطيع أن أفعل ذلك، أجيبهم: راقبوني".

وتتولى راسل (65 عاماً) في الوقت نفسه الدور الرئيسي في "بيرفكت كرايم" الذي أدته أكثر من 13500 مرة. واستغلت مرحلة توقف العروض بسبب الجائحة لإعادة تأهيل مسرحها، فأطلقت ورشة طلاء وتصليح للمقاعد، وزودته بنظام تهوية مناسب لمخطبات الوقاية من كوفيد -19.

وقالت "عندما رأيت أن صالات البوليفينغ تفتح (نهاية أغسطس)، اعتبرت أن الأمر غير طبيعي، ولم أتردد في رفع دعوى قضائية ضد بلدية نيويورك لإعادة فتح المسارح".